العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد

العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد على يد المغول تعرض العالم الاسلامي بعد سقوط بغداد الى صدمة كبيرة، نتيجة الغزو المغولي الذي أودى بالخلافة العباسية، وأودى بحياة ملايين البشر كر أن لم اكن مخطنا في الحساب في ذلك الوقت، وقد تزامن هذا برد الهجمي مع غزو منظم من نوع آخر ألا وهو الغزو الصليبي الذي من الغزو المغولي بفترة من الزمن، ولغرض تسهيل الموضوع فوف توله من ثلاث محاور هي :

١_ أوضاع العراق

٢ - أوضاع بلاد الشام ومصر

اوضاع بلاد المشرق الاسلامي

1- اوضاع العراق بعد الغزو المغولي : تعرض العراق اثناء الغزو المغولي لي تدمير شامل شمل كل المؤسسات العلمية والادارية والعمرانية، فدمرت الأسوار والخنادق رسويت بالارض بأمر مباشر من المغول، كما قدمت المساجد والجوامع اصبحت مرابط الخيول المغول والقيت الكتب والمصاحف في الشوارع والمزابل والقيت بعضها في نهر دجلة، لكون ان اهم المؤسسات العلمية الربط والتكايا والجوامع كانت بقرب نهر دجلة، كما أن الكثير من ساجد كانت تقع على جداول فرعية لنهر دجلة وفروع نهر الفرات كانت هذه الانهار والجداول تصب في نهر دجلة جميعها لما قصور الخلافة ومقر الدواوين فقد أحرقها المغول بالكامل، وجرى لسكان بغداد مذبحة عظيمة لم ينج منها الا من اختفى في المقابر أو الخرائب في اطراف بغداد هذه هي حقيقة ما جرى ولا نغالي أن تكون غير منصفين في وصف التمار الذي حل بالعراق فما ذكرناه هو بعض ما وصل البناء نقله الينا من بقي على قيد الحياة، وما نقله لنا لم يشاهده بأم عينيه، بل ما راء بعد الدمار آثار القتل والحرق والتدمير . من جاء المغول إلى العراق وهم لا يفقهون شيئا من أمر الحضارة، فليست لهم قصور او دور وليست لهم نظم معينة في الحياة سواء بالملبس أو المشرب أو الحديث، فهم همج كالبهائم، لا يعرفون لغة أهل البلاد ولا نظمها أو تشريعاتها، أو الإدارة أو الدواوين فانظر بالخي الطالب كيف يمكن التعامل مع هؤلاء البشر، الذين لا يعرفون أي نظام او انضباط، أو طريقة حياة نظامية، أو زراعة أو صناعة أو تجارة ولا يعرفون أي شيء سوى القتل والتدمير، ولنتذكر ماقاله احد الناجين من مذبحة مدينة بخارى حينما سئل عن المغول فقال: أتوا فقتلوا ونهبوا وحرقوا ثم

ذهبوا واجهت المغول بعد احتلال العراق مشكلة كبيرة وهي كيفية الحصول على موارد من هذا البلد الذي دمروه ولم يبقوا فيه شيئا يمك الافادة منه، فلا ادارة بقيت ولا سجلات ولا دواوين ولا موظفين لهم خبرة بامور الزراعة أو الصناعة أو النقد أو غير ذلك، جاؤوا الى بلد عريق بالحضارة له نظمه ومؤسساته الادارية والعلمية وله اسلوب في التعاملوالحياة والزراعة والري فكيف يتعاملون معه ؟!. كان المغول قد اصطحبوا معهم عدد من العناصر العلمية والادارية التي فروها في بلاد المشرق الاسلامي، وكان قسم منهم من المسلمين الذين يعرفون شرائع البلاد ونظمها وعادات سكانها بحكم العلاقة الديني بين الاثنين، فاستطاع هؤلاء مع عدد ممن بقي على قيد الحياة أو ممن استقدم من أرجاء العراق التي لم تتعرض لما اصاب بغداد مقر الخلافة المنيا، قاموا بلم شمل المؤسسات الادارية والعلمية في بغداد على وجه الخصوص. ترك هولاكو حامية عسكرية في العراق يديرها شحنة مغولي لتكون على امة الاستعداد لأي طارىء يحدث في العراق، وعين عند من الاداريين من بينهم ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم بالله الذي لم يقتله المغول من بين كل المناصر البارزة في الدولة العباسية، وهو ما يثير أحمد بن الشكوك في ولائه للخليفة العباسي المستعصم بالله لا كيف ابقاء المغول وهو وزير، في حين قتلوا كل بالغ او جندي او اداري او طفل أو امرأة التقوا بها أو هجموا على دارها وكذلك فخر الدين الدامغاني صاحب ديوان اليفة وهو كسابقه ايضا كما استعان المغول ببعض العناصر الادارية ممن لهم خبرة بأمور العراق ومنهم نجم الدين عمران وهو من أهل بأجرا فعيله هولاكو بمنصب صدر الاعمال الشرقية وناج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب في عهد الخليفة، بمنصب صدر الأعمال الفراتية وعين عبد المنعم البند نيجي على القضاء. كما قلم المغول الكثير من الادارات، وقسموا العراق على خمسة اقسام ادارية عن على كل منها صدر وعدد من الموظفين ادى الاحتلال المغولي للعراق الى الغاء الكثير من المناصب الادارية والسبب واضح وهو أن الاحتلال المغولي قد الفى منصب العلاقة، وقتل الخليفة العباسي، والغى النظم الادارية والقانونية للدولة الشريعة الإسلامية النسي مصدر التشريع الاساس منظم بائدة متخلفة العباسية في العراق ككل ولم يصبح الاسلام دين الدولة الرسمي، والذات تحكمها قوانين الباسا المضحكة، فالغيت دواوين عديدة مثل ديوان الزمام والانشاء والجوالي وعرض الجيش والتركات والابنية والحسبة والعقار والاوقاف والمقاطعات، وكل من هذه الدواوين له رئيس يديره يتبعه عدد من الموظفين في حين لم نسمع عن مثل هذه الدواوين في العيد الايلخاني)، وظلت بعض الدواوين باقية تحت ادارة الوزير ابن العلقمي وابنه حتى عام 657هـ / 1259م، حيثما غير المغول طريقة ادارة العراق، فعهد بادارته الى علاء الدين عطاء ملك الجويني، الذي أصبح رئيس الديوان في العراق، بينما شغل أخوه شمس الدين الجويني رئاسة ديوان الدولة الايلخانية، وقد ظل علاء الدين يلي ديوان العراق لمدة اثنين وعشرين سنة وبضعة أشهر، ويتولى امر متحصلات

البلاد دخله وخرجها واليه يرجع امر كل ذي قلم ومنصب شرعي، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع لا يشاور السلطان الا في جل الامور . واصبح صاحب الديوان يتولى تعيين الصدور والقضاة وكبار الكتاب والنظر في أمور الحج ومفاوضة الاعراب الذين يقع منازلهم في طريق الحج وامتازت فترة تولي عطاء ملك الجويني باستقزار وهدو نسبي لما كان يتمتع به هذا الرجل من قوة شخصية وتأثير على العراق بينما نجد كثرة تغير اصحاب الديوان بعد وفاته (3) ففي من 688هـ / 1289م عين سعد الدولة اليهودي صاحب ديوان الممالك اخ فخر الدولة اليهودي على ديوان العراق. وكثر تغير اصحاب الديوان به هذا التاريخ وتغيرت صلاحيات البعض منهم " ولم يستطع الايلخانيون تجاوز نظام الادارة في أواخر العص العباسي، وذلك بحكم ما اعتاد عليه الناس وتعارفوا بموجبه وجرت على احكامهم، فلا يمكن المسلم أن يذبح الحيوان وفق طريقة المغول الهمجية والمتخلفة ولا يمكن للمسلم إذا عطش أن يشرب دم دابته كما كان يفعل المغول، أو يتزوج وفق تقاليد وثنية، أو يقسم أرته وفق طريقة المغول، الأئمة بعد والسلم لديه القرآن الكريم وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وفقه . ذلك، ولا يمكن للمسلم أن يتعامل بالربا أو ما يمس جوهر العقيدة الاسلامية، ولهذا كان لابد من الرجوع الى وظيفة قاضي القضاة والمحتسب وصاحب الشرطة وكاتب السلة وغيرها من الوظائف التي كانت قائمة في أواخر العصر العباسي).وقد قسم العراق الى ثلاثة ولايات هي :

1- ولاية بلاد الجبل وفيه مدينة شهرزور .

2- الجزيرة الفراتية وفيها الموصل وسنجار و العمادية واربيل

3 - العراق الجنوبي، ويمتد من حديثة الموصل إلى عبادان طولا ومن حديثة عنه إلى حلوان شرقا . وقد عهد بإدارة هذه المناطق الى حكام يدينون بالطاعة إلى الخان المغولي، وقد اختير قسم منهم من أهل البلاد، وتم تقسيم هذه الولايات الى مناطق ادارية اصغر أشبه بالمحافظات في الوقت الحاضر. وكانت سلطة الخان أو الوالي المغولي مطلقة وكان القتل جزاء كل من يشك بولائه للخان ،الايلخاني وكانت الادارة كذلك لا مركزية، لا يتدخل الخان استدعاء من المغولي الا في الحالات الحساسة والكبيرة التي تمس أمن الدولة الايلخانية، وعليه واجبات تجاه الخان اهمها تقديم المال المتفق عليه او المقدر للخان، وتقديم الدعم العسكري في حالة الحرب مع الدول المجاورة أو في حالة حدوث اضطراب سياسي وكان الخان المغولي يتابع سير ادارة الولايات عبر شبكة سرية من المراقبين، ولهذا فقد تم يشك بولائه للمغول، ويكون القتل جزاء الذي يخون الخان او يشي بشخص ولم تثبت عليه التهمة". وكثيرا ما كان يتعرض الولاة إلى العزل او القتل والمصادرة، فقد عزل

مجد الدين صالح بن الهذيل أكثر من أربعة مرات وصودرت امواله والملاكه، ثم يعيدة المغول وهكذا كان الحال، أي عدم استقرار اداري وعدم وضوح الرؤية، أو و خطة واضحة بسير عليها الولاة المغول أو نوابهم وعندما يعزل شخص ما من الادارة ويأتي شخص آخر، يقوم بملاحقة التباع الوالي السابق ويصادرهم ويظلهم، كما حدث مع علاء الدين عطاء ملك الجريني، ومع مجد الملك اليهودي). كانت واردات العراق بالدرجة الاساس تعتمد على النشاط الزراعي، وهذا هو المعروف عنه ، وبالتالي فإن الضرائب تعتمد على ما نظله الزراعة، وان الزراعة قد أصابها الاهمال والتمير جراء الغزو المغولي، اذ كسرت السداد والمسنيات والنثرت الجداول، وبالتالي فان وارد العراق قد يتلاشى جراء الابقاء على هذه الحالة من الاهمال. وقد تنبيه المغول إلى ذلك وعرفوا بعد احتلال العراق ان عليهم اصلاح الوضع الزراعي في العراق، أن بدون زراعة لا توجد ضرائب ولا اموال ولا رواتب للجند المغولي وإذا انعدمت الزراعة تبعتها مهن أخرى في ذلك كالصناعة والتجارة، فزراعة القطن مرتبط بها صناعة المنسوجات وصناعة الزيت وزراعة اشجار النوت (التكي) مرتبط بها صناعة الحرير وما يتعلق بها من منسوجات تخلط مع الحرير، وهذه كلها يترتب عليها ضرائب والزراعة تحتاج لي عند وآلات للحراثة والحصاد وتعبئة المحصول الزراعي ونقله من الكياس وسلام ، وحبال وحيوانات نقل وهكذا. فالأمور كلها مرتبطة أحدها بالآخر، فاذا امنت الطرق انتقلت المنتوجات الزراعية عبر التجارة من مناطق الفيض إلى مناطق الحاجة والتجارة يرس عليها الرسوم والضور، وتحتاج التجارة إلى خانات لراحة القوافل على طول الطريق التجاري والى من يقوم بخدمة هذه القوافل وتأمين احتياجاتها من الماء والطعام والعلف وغير ذلك مما تحتاجه القوافل التجارية. لذا فقد انتبه المغول لهذا الامر وشجعوا الزراعة وحفروا بعض الانهار وكروا انهارا أخرى أصابها الاهمال في فترة الحرب واحتلال العراق. لقد اضر الوجود المغولي في العراق بالحياة العامة للناس، في يام الدولة العباسية كانت تحدث المجاعات والأوبئة فكيف الحال بحكومة لاتمت للناس بصلة، لابل ان هذه الحكومة المغولية قد ساهمت في قتلهم وتتميز هم وحرق محاصيلهم واجبرت الكثير منهم على الجلاء من أوطانهم، ومن يتتبع الأوضاع بعد الغزو المغولي للعراق يجد مصداق هذا القول، وقد سأل ابن فضل الله العمري احد المطلعين على أحوال البلاد عن سبب نقصان العمارة وضعف الانتاج وقلة الناس والمشاريع فقال : (عن السبب في قلة الغلال مع في بلاد العراق مع امتداد سوادها فقال: قلة ازروع ما استهلكه القتل زمن هولاكو للعراق وما جاوره من (البلاد ، كما شهدت فترات الحكم المغولي حدوث مجاعات فمثلا في ملة 675هـ / 1276م وفي سنة 678هـ / 1279م و680هـ/1281م,718/688,1318/685,1289/1286 4684/1285 حيث حدثت مجاعات وأوبئة وارتفاع الاسعارو في الموصل واربيل لكل الناس الجيف وباعوا اطفالهم، وصارت الجزرة

التي تباع بفلس واحد تباع برهم وخلت أربيل ودثرت قرى وبيع الولد بخمسين درهما او اقل وكانت المرأة تصرخ بابنها نصرانية ليشترى منها ولدها، فتأمن عليه وتجد من يطعمه، وتأكل هي وبقية أولادها بثمنه، وقد رافق هذه المجاعة جفاف وانتشار الجراد بشكل كثيف. لما في مناطق جنوب العراق فكانت الحالة لخف نوعا ما، مقارنة بالموصل واربيل والجزيرة . كما فرض المغول ضرائب على كافة الماس في العراق ومن بينها ضريبة التركات حيث نسمع عن وجود هذه الضريبة في أواخر المدة العباسية، وقد أشار الجويني الى انه وجد هذه الضريبة فقلغاها ، لكننا نسمع عن وجودها في سنة 693هـ/1293م مما يؤيد وجودها ، وفرضت ضرائب الرؤوس (الجزية) وعلى الدور والممتلكات فقد ورد امر سلطاني الى الجويني بأمره فيه باثبات الدور ووضع الضرائب عليها وهذه الضريبة لم نسمع عنها من قبل في المدة العباسية كما فرضت ضرائب على المواد التي تباع في الاسواق ومن ضمنها المحاصيل الزراعية فقد باع احد الاشخاص كارة من الدخن بدرهم وطواب بضريبة عليها مقدارها در همين ولذلك تركها وانهزم وهذا ظلم كبير اذ از الفلاح يدفع الضريبة مرتين مرة عند جمع الحاصل، ومرة عند بيعة في السوق، بعد دفع ضريبة الدولة. كما فرضت الضرائب على المراعي ايضا وقد امر بعض الخلفاء العباسين المتأخرين بالغائها مما يؤكد وجوده في أواخر المدة العباسية، ومقدارها 1 وكانت تسمى بالـ (القبجور أو القيجور) . كما فرض المغول ضريبة أخرى طبي التجارة الداخلية ولسموها بالتمعات وهذا كان يجري في المدة العباسية على التجارة الخارجية او على انتقال كما التجارة بين الدول المختلفة. وقد خالف بعض الحكام المغول هذه الضريبة، لكن ليس بصورة دائمة حيث أن الولاة كانت لديهم كما يعرف اليوم بقوانين الطواريء، يستخدمونها وقت ما يشاؤون) كما تسمع في الفترة المغولية عن ضرائب كانت تعبي بالقوة من الناس، كما فرضت ضرائب على الاوقاف وهي نعلم معفاة من الضرائب وضرائب على دور بيع الخمور، وعلى بيونات الدعارة، وفي بعض الاحيان كان المغول يفرضون عددا من الجنود على البيوت للاتفاق عليهم، وهذه مشكلة كبيرة جدا، قد نمس شرف العائلة أو القبيلة أو المنطقة، هذا فضلا عن المصادرات التي كانت تمس كل أموال الموظف وربما يدفع حياته كلها ثمنا لهذه المصادرة كما حدث مع صاحب ديوان العراق علاء الدين عطاء ملك الجويني . وفرضت ضريبة الرأس عن كل فرد في بداية الحكم المغولي، وقد الغاها الجويني عندما تولى ديوان العراق . لما الأراضي الزراعية فقد اعطيت بالضمان، وهذا يعني حدوث ظلم كبير جزاء استخدام هذه الطريقة في تحصيل الخراج والضامن يظلم الناس لأنه يجمع أكثر مما هو مقرر عليه ويحتفظ بالباقي لنفسه. ومن المضحك ان النساء اجبرت على دفع ما على أزواجهن . من مبالغ نقدية، اذ قد يهرب الرجال من الدفع، فكانت النساء تسجن ويجبر قاربين على دفع ما عليهم تخليصا لهن من السجن، وهذا ما لم تسمع به من قبل وقد حدث هذا في بداية الحكم المغولي. الأموال وربم القتل،

بسبب وخلاصة القول ان اهم ميزة تميزت بها حكومة العراق في العهد الايلخاني هو عدم الاستقرار والفساد الاداري، فقد كان حكام العراق وحكام الولايات معرضين الى السجن والتعذيب ومصادرة أو بدون سبب اذ لعبت الوشايات دورها في هذه الاعمال التي لم تعط العراق أي استقرار، ولو استثنينا فترة حكم الجويني التم استمرت قرابة الواحد وعشرين عاما أو أكثر، لم يستمر بعض الولاة أو اصحاب الدواويين بضعة أشهر، فاخذ الحكام يدس بعضهم على بعضر الوشايات المهلكة للسلطان المغولي او لوزراته والنتيجة هي الخراب والدمار وعدم استطاعة الشخص الاداري من تنفيذ خطته في تسيير أمور الدولة في العراق، فضلا عن تحمل الناس لولاية بعض الفاسدين الذي لاتهمهم سوى مصالحهم الخاصة، والذين يرهقوهم بالضرائد الاعتباطية (7). ويلحون في جبايتها. ولم ينج الناس في العراق من ه التخبط، فالمحتل المغولي كان يسعى بكل الطرق الى الحفاظ على العرا وادارته لاحبا باهله بل نجني لكبر ما يمكن من خيرات العراق وا اسرع فترة ممكنة، وبأقل جهد ممكن.

- <u>الاوضاع في بلاد الشام ومصر</u>
- في هذه المدة التي أعقبت احتلال المغول لبغداد كانت بلاد الشام تتنازعها بقايا الأسرة الأيوبية وتعال فاتو مع بعضها البعض لا بل البعض من دويلات المدن الأيوبية أن صحت تسميتها بهذه التسمية تحالفت مع بقايا القوات الصليبية في بلاد الشام أما في مصر فقد كانت الأسرة الأيوبية تلفض أنفاسها الأخيرة وسط سلسلة من المؤامرة.الدسائس التي اطبقت على اسيادهم من الايوبين في مصر وقد أدرك الايوبين عدم صلاحية الجنة الخوارزمي للقتال إلى جانبهم بسبب أن الجند الخوارزمي كان يتبع كل من يدفع له أكثر فضلا عن كثرت مطالباتهم بالامتيازات المتكررة والتي ليس من الممكن توفيرها لهم فأكثر شيء يطالب به الجند الخوارزمي هو الاقطاع والاقطاعات محدودة لأن الأرض لا تتوالد بل هي ثابتة ومطالب الخوارزمي تتجدد كل يوم وفي بعض الأحيان كان جندي الخوارزمي يغير على الاقطاعات التابعة لأسيادهم والأيوبيين هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد أدى الغزو المغولي لبلاد المشرق الإسلامي، لم تود إلى زيادة إعداد الرقيق التي تباع، بل على العكس، فقد أدت غارات المقول على القضاء على هذه التجارة، بحيث فقدت كثيرا من الأسرة أبنائها في الحروب التي شنها المغول، وبالتالي أحداث جو من عدم الثقة لدى العوائل التي تبيع أبنائها إلى عدم معرفة العائلة بمصير ولدها مستقبلا.فعندما كانت العائلة تبيع ابنها في العصر العباسي للدولة العباسية، كانت تعرف أنه سيصبح جندية في الجيش العباسي أو غيره من الجيوش، وربما يلحق به أخوانه الآخرين فيما بعد، أو يلحق به أبناء

قريته. أما الآن وفي ظل الغزو المغولي، أصبح جميع السكان الخاضعين لهم عبيد وأسرى، و يستخدمونهم في أعمال السخرة والتجنيد الإجباري لاستخدامهم كدروع بشرية في الغارات التي يشنها المقول على المناطق المجاورة لهم، وكان على المماليك الالتفات إلى ما يجري حولهم من تحديات خطيرة قد تهدد وجودهم في بلاد مصر، بشكل خاص أو في بلاد الشام بشكل عام، فالذي يسيطر على بلاد الشام يهدد مصر، والذي سيطر على مصر يهدد بلاد الشام، كما أن المقول قد وقف عند الحدود الشرقية لنهر الفرات، فأصبحت حدود الفرات الغربية تابعة للمماليك كتحصيل حاصل، لكن حدوث تحالفات جديدة بين ايلخانات العراق وفارس مع بوهيمند امير انطاكية وطرابلس الذي شكل بالتحالف هذا ضرب خاص فترة بالنسبة للدولة المماليك الفتية في مصر والشام. لهذا نجد بيبرس يتأهب للأمر قبل وقوعه، ولهذا سعى بيبرس البندقداري إلى الاهتمام ببلاد الشام ومصر، فعلم أمورها المالية والإدارية،ووزع على قطاعات ونظم الجيش بشكل أفضل مما كان عليه، ولم يعد بيبرس البندقداري يخشى السيادة القدامى، الأيوبيين، بسبب قوته وانتصاره على المغول في موقعة أين جالوت، التي وضعت مصر في المسار الصحيح، وأخذت المعاقل الأيوبية في الشام تتساقط الواحدة تلو الأخرى، ولم يبق إلا مدينة حماة بأيديهم والتي دخلت في طاعة المماليك في سنة 746ه. 1345 والتحالف بيبرس البندقداري كذلك مع خانات القبيلة الذهبية في منطقة القوقاس. وسميت بالذهبية لكون خيامها مصنوعة من الجلود المدبوغة بالع فص وقشور الرمان والتي تحول لون الجلد المدبوغ إلى أصفر، أو إلى أن صناعها من الأصفر إلى أنهم يستخدمون الجمال ذات السنامين، حالهم حال سكان تركستان الإسلامي الذين دخلوا في الإسلام وناصب وأبناء عمومتهم العداء بسبب ما فعله المغول بالبلاد الإسلامية من خراب وتدمير. وبالنظر للعلاقة بين المماليك في مصر وقبيلة الأردن الذهبية، فقد ارتفعت مكانة مصر في نظر الدولة الأخرى، وأخذت الأمارة الصليبية تتحاشى الدولة المملوكية الفتية، ولهذا أخذت القوى الصليبية في الشام تذهب هذه الدولة، ولم تستطع مقاومتها على طول الوقت، فخسرت الكثير من مواقعها في بلاد الشام، توجهت الدولة المملوكية الفتية الضربات الموجعة القوى الصليبية في بلاد الشام فسيطرت على قيسارية وارسوف بين سنتي667 ه-1261 م-1277 م .ثم أستولى المماليك على عرقها وصفة وسيليقيةوبلغت القوات المملوكية مدينة طرسوس وتم عقد هدنة مع ملكها هيثوم الثانيبشرط

- التنازل عن دريساك، وسيطر بيبرس كذلك على يافا وشقيف وتوج عماله بالسيطرة على مدينة فيترتب على سقوط هذه الإمارة التي استمرت إلى هذا التاريخ، أن انهارت الروح المعنوية للصليبيين، فاستسلم حسن الأكراد وسقط حسن وحرسه أثاب ملك قبرص يحصل بعقد معاهدة لمدة عشر أعوام مع بي سي بريس البندقداري لترتيب أموره الداخلية والخارجية وذلك في سنة 666ه-1272 م
- كما أقام به برس البنت خداري علاقات ودية معك كيخسرو سلطان سلاجقة الروم الذي أصبح بحكم الواقع تحت تأثير زعماء القبائل الذهبية، كل هذه التحالفات كانت تصب في خدمة الدولة المملوكية الفتية، بحيث أصبحت في موقع القوة أمام المغول الذي يحتلون العراق وخراسان، فأصبح في موقع يمكن أن يكيل لم قول في العراق الضربات الموجعة،حيث قام المغول بغارات عديدة ضد حدود بلاد الشام في عصر السلطان بيبرس البندقداري، على الحدود العليا للفرات والبيرة. ومناطق أفاميا الواقع في أعالي سوريا الآن .وهكذا أخذ المقول في العراق ينشدون رضا الدولة المملوكية ويطلبون إقامة أفضل العلاقات معها. بعد أن كانوا يوجهون لها الحملات والحملات. وهكذا زال الخطر المقول عن بلاد الشام ومصر، وخيرا فعلت الدولة المملوكية الفتية بالتصدي لهذه الغارة المدمرة الشرسة ضد العالم الإسلامي، وأسس لأنفسهم دولة حملت اسمهم على مر التاريخ، وتخلصت بلاد الشام من الخطر الصليبي، الذي ظل الغرب الأوروبي يطبل ويزمر له ويزهق الأرواح البريئة الطاهرة من الطرفين الإسلامي والأوروبي، من دون سبب أو مبرر حقيقي، بهذا الحرب بين الشرق والغرب
- وهنا أود أن أطرح سؤالا، ماذا حدث لو حصل اتفاق والتعاون بين الدولة الإسلامية والغرب الأوروبي في كل المجالات الجواب سيكون تقدم العالم والمدنية قرونا عديدة إلى الإمام، ولا زالت آثار تلك الحرب تضرب باطنابها هنا وهناكبين الفينه والاخرى.
- توفي بيبرس في سنة 676ه/1277مبعد أن أستدعى بكل من الصليبيين والمقول وملك أرمينيا الصغرى مرة أخرى، وتبين لهم أنه ليس بالقائد الغافل أو السهل اللين الجانب،الذي يمكن أن يخدع، كما حاول أن يمد نفوذه على مناطق التابعة ل سلاجقة الروم في قيسارية(قيصرية) وأثبت لهم أن هذه الدولة الفتية لم تكن زيارتها لهذه المنطقة عابرة، بل جاءت تثبت وجودها في مصر أولا وفي بلاد الشام والمناطق المحاذية لها في آسيا الصغرى من جهة الشمال.
- <u>اوضاع المشرق الاسلامي</u>

- لم تختلف أوضاع بلاد المشرق الإسلامي في العهد المقولة عن مغربه فهي أول البلاد التي تعرضت للغزو المغول المدمر أن صح تسميتها بهذا الاسم، إذا خرجت القوات المغولية منغوليا تسوقها قسوة متناهية ضد الخصوم قدر قساوة الطبيعة على ذلك المجتمع، وبقدر ما حمل هؤلاء الهمج من حقد على الإسلام وأهله وعلى الحضارة ومعطياتها في ذلك الوقت منمساجد ودور علم ومدارس ومؤسسات دينية أو وقفية، أو بساتين أو زروع أو حدائق عناء أو مشاريع ري أو سدود بذل أهلها مبالغ هائلة من أجل توفيرها، لبناء ذلك سد لغرض استخدامه للري اوالزراعة
- ولم يكد العالم الإسلامي يستعيد شيئا من وحدته في أواخر القرن السادس الهجري على عهد صلاح الدين الأيوبي، حتى تعرض لموجة قوية كانت أعنف من تلك الحملات الصليبية التي اجتاحت بلاد الشام،
- وكما مر بناء عند الحديث عن ظهور المغول، إن المغول لم يعرفه أية وحدة فيمنغوليا إلا بعد قيام جنكيزخان بتوحيدهم تحت زعامته واتخذ لنفسه علما أبيضا تزينه تسعة ريشات ،واتخذ من مدينة قراقورم عاصمة قبائل النايمان،عاصمة له وصنع له عرشاضخما يجلس عليه في القوريلتاي.
- بعد احتلال الأجزاء الشمالية من الصين عادجنكيزخان إلى العاصمة قراقورمسنة611 ه/1214 متوجه بعدها إلى البلاد الإسلامية،، وكان قد استولى على الدولة القرهخطائيةكلشوخان قائد قبائل ،الذي كان قد هرب من جنكيز خان، والتجأ إلى القرهفاستقبله قائد القره خطاي و زوجه من ابنته لكنكلشوخان غدربعمه وسيطر على عرش القرهخطاي. كان هذا من ألد أعداء جنكيز خان، لهذا ما أن فرغجنكيزخان من أمر الصين حتى توجه إلى بلاد ما وراء النهروسيطرة على هذه المنطقة، وأصبح بحكم الواقع مجاور لبلاد خوارزمشان حيث جرت معارك عديدة بين الطرفين كانت الغلبة فيها للمغول.كما مربنا عند التحدث عن الغزوالمغولي للبلاد الإسلامية.
- <u>علاقات المماليك مع مغول العراق</u>
- بعد الانتصار الحربي الذي حققه المماليك على المغول في معركة عين جالوت658 ه/1258 سعى هولاكوالئ اعداد حملة جديده ضد بلاد الشام ،وذلك بالسعي إلى عقد تحالف مع حاكم بعد أن فقد المغول القاعدة الشعبية في بلاد الشام، بما قاموا به من انتهاكات صارخة، جعلت الناس في بلاد الشام ينفرون منهم ومن وجودهم كما أن هولاكو لا يستطيع مواصلة الهجوم على مصر من دون مساندة الأيوبيين،أصحاب السيادة الشرعية، وأسياد

المماليك الذين يحكمون مصر وأغلب الشام الآن. أرسل هولاكو وفد كبير إلى الملك المنصور حاكم حماة في سنة660 ه/1262 يحمل وعود المقول وأمان يوم الكاذب في رفع مكان الملك المنصور في بلاد الشام ومصر، وعاد حكم المنطقة للأيوبيين. وطلب منه الطعان لضرب بيبرس البندقداري،، فرفض الملك المنصور هذا الطلب وهذا العرض المغري بالنسبة إليه، ولكي يقطع الطريق على هولاكو أرسل الوفد المغولي إلى السلطان بيبرس البندقداري مع الرسائل المكتوبة إليه من هولاكو، ليبرئ نفسه من الخيانة والتهمة بمعاونة الاعداء. وبهذا فشلت هذه الخطة بكسب الملك المنصور الى جانب المغول

- لكن هولاكو ولم ييأس من المساعدة والخيانة والغدر لدى البعض من ضعاف النفوس،فراسل الملك المغيث صاحب الكرك، وطلب منه التعاون لإسقاط السلطان بيبرس من حكم مصر، فتعاون معه الملك المغيث،، وأطلعه على كثير من أخبار الجيش المملوكي وماكن تواجده وعدته وتسليحه وقادته، بل لعب أخطر من ذلك عندما بدأ بمراسه بعض فرق الجيش المصري ،ومنها فرقة الشهرزورية(احد الفرق الكرديه التي كانت مع الأيوبيين في الاردن ومصر وبلاد الشام وهم شهرزور في شمال العراق،ولعبوا دورا متميزا في الحرب الصليبية ومقاومة الصليبيين وقدموا الغالي والرخيص من أجل الجهاد في سبيل الله).وقد انكشفت هذه المؤامرة ولقي الخائن جزاءه فيسنة 661 ه/1263 م. ولم ييأس هولاكو من المحاولة مرة او حرات حتى وإن لم يجد الشخص الملائم فعلى أمل تقدير إيهام السلطان بيبرس بأنه يستطيع الابقاع به، ويستطيع إقلاقراحته حتى لا يتفرغ له،من أجل طرد المغول من العراق، حيث راودت هذه الفكرة السلطان بيبرس فعندما أرسل له الايلخان المغولي رسالة تهديد،أجابه السلطان بيبرس إجابة رجل حمل قضية أمة فقال له ((إعلم أني وراءه بالمطالبة ،ولا أزال أنتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر أقطار الأرض)) إذ تشمل أن وجود المقول على حدودها الشرقية سيسبب له الكثير من المشاكل واستمرت العلاقات الحربية بين الطرفين المغولي والمملوكي، بشكل أو بآخر حتى أدرك المغول أنه لا بد للعلاقات العسكرية من أن تنتهي، وتحل محليا العلاقات وهذا ما تم في فترة لاحقة بعد دخول المغول في الدين الإسلامي. قد عادت العلاقات التجارية بشكل طبيعي بين الإثنين.
- أما عن علاقة مغول العراق مع مغول القبجاق، فاكنت غير جيدة ،وكان ان تأسست هذه الدولة في سنة645 ه/1256م واتخذ من مدينة سراي مقرا لحكمه، وشملت دولته كل مناطق القوقاز الروسي ومناطق بلاد خوارزم اي المناطق الواقعة بين بحر ارال والبحر الاسود، بدأت هاتان الخانيتان تعمل بشكل متوافق مع سياسة المغول في قراقورم في اول

الامر ولكن بعد تقسيم الامبرطورية المغولية ،واعتناق هذه القبيلة للدين الاسلامي ،والاختلاف بين المصالح والاهواء وتفكك الدولةالمغولية، ادى بالنتيجة الى حدوث انشقاقات بين مغول العراق وايران وبيم مغول القبيلة الذهبية. اذن تعددت أسباب النزاع فمنهم من عزاها إلى ألاسباب الدينية واستنكار مغول القبيلة الذهبية لما قام به هولاكو من مذابح في البلاد الإسلامية .أو أن هناك سبب سياسي فقد ساند هولاكو أخاه الأكبر قوبلاي خان بتولي العرش المغولي، في حين ساند الاوردو اخاه الاصغر اريقبوقا لتولي العرش فتعقدت الخلافات بين الإثنين كما لعبت المصالح التجارية بين الطرفين دورا في تعقيد الأزمة بين الإثنين في أثناء الفتنه والحرب بين المغول المماليك في منطقة بلاد الشام انقطعت طرق المواصلات التي كانت تشكل عصب الحياة في ذلك الوقت بين العراق والشام لتردى الأوضاع الأمنية بين الطرفين المملوكي فكل طرف يتهم الطرف الآخر بالتجسس عليه من خلال هذه التجارة فضلا عن سيطرة الأوردو عليها من خلال علاقتهم السياسية والتجارية مع المماليك فجن جنونه هولاكو فلا هو يستطيع الانتصار على المماليك أو يقيم حلفا من أبناء عمومته ضدهم أو يحرض رعاياهم عليهم وأظنه ترك العراق ومات كمدا جرى فشله في السيطرة على بلاد الشام ومصر

- أما عن علاقة مغول العراق وإيران مع مغول بلاد ما وراء أنها فيمكن إجازة بما يلي عرف الكيان السياسي الذي أقامه المغول في بلاد ما وراء النائب اسم مملكة جغتايابن جنكيز خان ولا بدل من يحكم بلاد خراسان من أن يقيم علاقة حسنا مع بلاد خراسان وإن من يحكم خرسان عليه أن يقيم علاقة حسنة مع العراق هذا من ناحية مهمة جدا أثبتها التاريخ والواقع في كل من وصل إلى حدود جيحون لا بد له أن يعبر إلى بلاد ما وراء النهر لأن أمن بلاده متعلق بهذه المنطقة وهكذا في بقية المناطق وعلى الرغم كون الدولتين في خرسان والعراق ومغول ما وراء النهار وثنيتين إلا أن الصراعات السياسية لا بد وأن تأخذ مجراها الطبيعي حتى ولو كان يحكم ما وراء النهر وبلاد العراق وخراسان إخوة من أب وأم فبدأت العلاقات العدائية في أول الأمر حتى شغلتهولاكو ومن جاء بعده من الايلخانات في العراق وخراسان وجعلته يغير من خططه لغزو الشام ومصر ثم بتوالي أزمات تحولت العلاقات إلى علاقات سلمية بعد أن دخل المغول في العراق وخراسان في الدين الإسلامي أما عن علاقة المغول بشكل عام والايلخانيين بشكل خاص مع دول أوروبا فقد تم تناوله من قبل الباحثين بارتولد في كتابه تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي بشكل مفصل ولا أريد أن أعيد هنا لأنه ربما قد تكون لإعادة المختصرة مخلة ف الرجوع إلى المصدر الأساسي أفضل لمن يريد المزيد أما الكتاب الثاني فهو ال أستاذنا

الدكتور محمد صالح الغزاز الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخيرة وهو بحث كبير فيه جهد واضح المعالم لمن يريد المزيد